تنظيم «القاعدة» من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (7)

تركي الفيصل زار بن لادن في قندهار بطائرة عملاقة لمحاولة اعادته مع جميع عناصر القاعدة

المخابرات السعودية ارسلت شابا اوزبكيا لاغتيال الشيخ... وعدته بمليوني ريال والجنسية في حالة نجاحه

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعدُ أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، والذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر التي تكتنز معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا حرا طليقا في البلد التي ينحدر منه وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحضور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تبحر بالقارئ في محيطات تنظيم (القاعدة) وتغوص به في أعماق زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن مراحل الانضمام لتنظيم (القاعدة) والبيعة التي توثق ذلك الانضمام وتبعاتها التنظيمية بالاضافة الى مستوى تحقيق التنظيم لأهدافه.

البيعة

■ مررتَ بمراحل كثيرة في تنظيم (القاعدة) ابتداء من جلال أباد، مرورا بمعسكرات خوست وانتهاء بقندهار، فمتى بالضبط أديت البيعة رسميا لأسامة بن لادن؟

■ بايعت الشيخ أسامة مرتين، ولكن كما ذكرت فيما سبق بأن بيعتي كانت بيعة مشروطة، رغم صلتي العميقة وعلاقتي الشخصية به. فكانت المرة الأولى التي بايعته فيها بعد لقائي الأول به بثلاثة أيام في جلال أباد، والتي قلت له فيها اني مستعد للعمل معك بشرط. وكانت البيعة الثانية وهي البيعة التنظيمية الرسمية باسم تنظيم (القاعدة) فيما بعد، أي بعد مروري بالعديد من المراحل التنظيمية اللازمة لذلك. وكان شرطي في البيعة أنه في حال خرجتُ من تحت قيادة الشيخ أسامة المباشرة للمنطقة التي هو فيها الى مكان آخر، فليس له عليَ أمر؛ فقبّل الشيخ بهذا الشرط وقال لي: أنا قابل بشرطك. فكنت بذلك تحت امرة الشيخ أسامة طالما أنا في أفغانستان ولكن لمجرد خروجي منها لا تصبح عليَ أي التزامات.

■ ما هي الصيغة الرسمية للبيعة الخاصة بتنظيم (القاعدة)؟

■ الصيغة كانت عادية مثل باقي البيعات، ولكن بخصوصية معيّنة، ونصّها يقول «نعاهد الله على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعلى أثرةٍ من أنفسنا، وألاّ ننازع الأمر أهله».

■ ما هو مدلول العبارة الأخيرة في البيعة «وألا ننازع الأمر أهله»؟

■ هذه هي الجزئية التي توقفت عندها أيضا أثناء أدائي للبيعة وسألت الشيخ أسامة عنها، فأجابني بقوله: ان كلفّتك بأمر تسمع وتطيع وان كلفتُ أحدا غيرك فلا تعترض على ذلك، وتقول لماذا كلفتَ فلان أو علاّن.

■ هل كانت هناك أنواع متعددة للبيعة، كالبيعة الصغرى والبيعة الكبرى مثلا؟

■ النص كان واحداً لكل البيعات، وكان الشيخ أسامة يطلب أن نبايعه على السمع والطاعة في ظل امارة المؤمنين، بقيادة طالبان، لأن البيعة الكبرى كانت للمُلاّ محمد عمر، أمير حركة طالبان. وأما نحن فبُحكم بيعتنا للشيخ أسامة والتزامنا بالشروط والعهود التي بيننا وبينه، فما يعاهد عليه الشيخ أسامة أو يبايع عليه يكون ملزما لنا ويجب علينا أن نسمع ونطيع، فأصبحنا تحت امارة دولة طالبان ولكن تحت اشراف مباشر من قسم (بني يعرُب)، وكان شيخ قبيلتنا، قبيلة العَرب، الشيخ أسامة بن لادن، وكنا ملزمين بالسمع والطاعة لشيخ قبيلتنا. فكانت بيعتنا ليست كالبيعة الكبرى لأمير المؤمنين الملا محمد عمر، لأن الشيخ أسامة هو الذي بايع هذه البيعة الكبرى للملاّ محمد عمر عن نفسه ونيابة عن أتباعه من عناصر تنظيم (القاعدة)، وكان من يريد منا كأفراد أن يؤدي البيعة الكبرى للملا محمد عمر مباشرة فله ذلك، ولكن بهذا يخرج عن قيادة الشيخ أسامة له، حيث لا يصبح للشيخ أمر عليه. وقد أقر الملا عمر الشيخ أسامة على ما هو عليه، وبقي الشباب العرب تحت امرة الشيخ أسامة بن لادن.

احترام مشايخ الصحوة

■ أشرت سابقا الى أن بن لادن أعلى صوته عبر البندقية بعد اعتقال مشايخ حركة الاصلاح في السعودية، فهل كانت حركته هذه وتأسيسه لتنظيم (القاعدة) بمثابة ردة فعل لما فعله النظام السعودي بمشايخ العلم هناك؟

■ في الحقيقة الشيخ أسامة يحترم الشيخ سلمان العودة ويحترم الشيخ سفر الحوالي وفي تلك الفترة، الى قبل تفجير سفارتي واشنطن في نيروبي ودار السلام كان الشيخ أسامة يتواصل مع مشايخ السعودية ويستشيرهم في قضية حمل السلاح، فكانوا يردون عليه: يا أبا عبد الله لا داعي لاستخدام السلاح، وما في داع للعمل المسلح، فكان الشيخ أسامة يلتزم برأيهم، وخصوصا أنه كان يقدّم الرأي الجماعي، عملا بمبدأ الشورى، فلما اعتقل المشايخ في السعودية شعر الشيخ أسامة أن كلمة الحق ستهضم وسيمنع الناس من ايصال كلمتهم الى الآخرين، فاضطر بن لادن أن يتكلم بنفسه، بصيغة أخرى وبلغة لا يفهمها الآخرون. وعند ما كان الشيخ أسامة يُسأل عن أسباب استخدامه للغة السلاح كان يجيب على السائل بأبيات الشعر:

قلنا وأصغى السامعون طويلا
خلّوا المنابر للسيوف قليلا
من يستدل على الحقوق فلن يرى
مثل الحسام على الحقوق دليلا
لما أبَوا أن يفهموا الا بها
رحنا نرتلّها لهم ترتيلا

فخبرة الشيخ أسامة في استخدام السلاح جعلته يتفاهم معهم بهذه اللغة التي يجيدها، بعد أن أتاح لأصحاب العلم وأصحاب الحلم وأهل الكلام وأهل القدرة على الطرح، أن يستنفدوا كل ما بوسعهم في هذا الجانب، ولكن عندما رأى رد فعل الحكومة السعودية باعتقال كل هؤلاء العلماء والزج بهم في السجون، واسكات أي مصدر لكلمة الحق اضطر الشيخ أسامة للظهور، وكان ظهوره أقوى من الآخرين وتأثيره على المستوى العالمي، لأن لغة السلاح أقوى من أي لغة أخرى.

■ ما هو الهدف الرئيسي لتأسيس أسامة بن لادن تنظيم (القاعدة)؟

■ الهدف الرئيسي لتنظيم (القاعدة) هو اقامة شرع الله في الأرض، مثله مثل أهداف بقية التنظيمات الاسلامية، الرامية الى تحكيم الشريعة الاسلامية واقامة الدولة الاسلامية، مع الاختلاف فقط في الوسائل المتبعة للوصول لهذا الهدف، والا فكلها تلتقي عند هذا الهدف. وتنظيم (القاعدة) كان موجودا من قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، فأثناء صراع القطبين الكبيرين في العالم: الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، كان تنظيم (القاعدة) موجودا كتنظيم بسيط، ولكن الأحداث المتلاحقة بعد ذلك، صنعت منه تنظيما فاعلا وغيّرت مجراه باتجاه معاداة أمريكا.

■ .... ولكن البعض يشير الى أن هذا التنظيم صنيعة أمريكية، ما رأيك؟

■ تنظيم (القاعدة) ليس بصنيعة أمريكية، وهذه حقيقة لله ثم شهادة للتاريخ، وكلما حصل أثناء الجهاد الأفغاني الأول أن مصلحة المجاهدين التقت مع مصلحة أمريكا في محاربة المد الشيوعي على منطقة وسط آسيا باتجاه الشرق الأوسط، وبالذات باتجاه المياه الدافئة في منطقة الخليج، وأمريكا ان كانت قدمت شيئا للمجاهدين فانها فقط قدمت دعما اعلاميا ومعنويا، أما الدعم المادي والدعم بالسلاح فكانا من أموال المسلمين، ومن التبرعات الخاصة، خصوصا في تلك الفترة التي واكب الجهاد فيها تعبئة وحملة اعلامية كبيرة في كافة البلدان الاسلامية، وكان المجاهدون يسافرون الى أفغانستان من كل مكان بتذاكر مخفضة جدا.

■ الى أي مدى تعتقد أن تنظيم (القاعدة) حقق الأهداف المرجوة من تأسيسه، أم أنه مازال أمامه مشوار طويل؟

■ أعتقد أن تنظيم (القاعدة) مازال في البداية ومازال أمامه الكثير، ونسأل الله أن يقضي ما يراه.

■ هل لمستم أي شعور بأنه ربما كان يتخذ من تأسيسه لتنظيم (القاعدة) وسيلة للشهرة أو للزعامة والملك؟

■ مطلقا، لم نلمس منه أي شيء من ذلك، وأذكر أنه كان يؤكد في أكثر من موطن ويقول: والله لو لم تعتقل الحكومة السعودية مشايخ ودعاة حركة الاصلاح في السعودية لما تكلمت، ولا كنت تكلمت، ولكن عندما اعتقل المشايخ في السعودية واسكتوا أي كلمة حق تقف أمامهم، اضطررت للكلام، واضطررت لهذا العمل، وكلامي طبعا يختلف عن كلام الآخرين، البعض يحسن الكلام بالحوار وأنا أجيده بالبندقية.

المشايخ في السعودية ودعم الجهاد

■ كما ذكرتم سابقا أن جميع العلماء ومشايخ العلم في السعودية كانوا يحرضون على الجهاد ويجمعون له التبرعات، فهل يعني هذا أنهم كانوا يشكلون قاعدة خلفية لتنظيم (القاعدة) أو لأسامة بن لادن في السعودية؟

■ لا، لم يكونوا يشكلون قاعدة خلفية لأسامة بن لادن أو لتنظيم القاعدة في السعودية، بقدر ما كان الموضوع يشكل تعاطفا دينيا مع فكرة الجهاد، بعيدا عن القضية التنظيمية الاقليمية، مثل مصر للمصريين واليمن لليمنيين والسعودية للسعوديين، وهذه ميزة امتاز بها أهل اليمن والحجاز، فكان الشاب ينذر نفسه لله ويقول: أنا مجاهد، وكفى، ولم يكن وراء ذلك بُعدٌ سياسي أو فتح حوار أو مراحل تربية تنظيمية، وكل ما كان موجوداً في هذا الموضوع هو عملية دفع للشباب نحو الجهاد، وكان هذا الموضوع عبارة عن (موضة)، حيث بعد أن انتهى الجهاد في أفغانستان، وتحولت القضية هناك الى نزاع بين مختلف فصائل الجهاد الأفغاني، حدثت ردود فعل عكسية لدى الكثير من الدعاة، فتحولوا نحو الجهاد في البوسنة، وكنت أنا أحد الشباب الذين تم توجيههم نحو الجهاد في البوسنة من قبل الشيخ خالد عودة الحربي (أبو سليمان المكي)، الرجل المشلول الذي كانت له لقاءات مع الشيخ أسامة بن لادن وسلم نفسه مؤخرا للسلطات السعودية وعاد اليها من سورية، وقد سألته حينها: ياشيخ أين تنصحني بالجهاد في البوسنة، هل في مجموعة الزبير أم في كتيبة المجاهدين؟ فأجاب: اذا تريد الضحك والمرح فاتجه الى مجموعة الزبير، واذا تريد التنظيم والعمل المنظم فانضم الى كتيبة المجاهدين؛ ومنذ ذلك اليوم والعمل المنظم بدأ يغرس في رأسي، وأنه أفضل بكثير من العمل العشوائي، واستنادا الى الكثير من الآيات القرآنية أصبح العمل المنظم أحب الى قلبي من العمل العشوائي، فكان أن دفعنا المشايخ نحو هذا الاتجاه، أما أن يكونوا دفعونا نحو تنظيم معين، أو دعونا نحو تنظيم (القاعدة) أو أسامة بن لادن، فهذا لم يحصل، حتى أسامة بن لادن نفسه كان يقول ما أنا الا عبد من عباد الله، فالصورة لم تكتمل كقضية متكاملة من جميع محاورها للدفاع عن أمة، الا بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر)، أما من قبل فكانت العملية مجرد دفع للشباب نحو الجهاد، وتحريضهم على الجهاد في أي مكان، وحضّهم على ذلك لما له من أجر جزيل، لا مشايخ الدعوة في السعودية ولا أسامة بن لادن نفسه ولا نحن كان في بالنا أنه كان ممكناً أن نصل الى هذه المرحلة بهذه السرعة.

■ ألم يكن هناك أي تنسيق بين أسامة بن لادن ومشايخ السعودية في تلك الفترة لدفع الشباب نحو الجهاد؟

■ أعتقد أنه كان هناك اتفاق بينهم بهذا الشأن، ولكن ما هو مضمونه وما هي تفاصيل ذلك، لا أعرف بالضبط.

■ حتى مطلع التسعينيات كان يسمح لأسامة بن لادن دخول السعودية، وأكيد كانت له علاقاته الواسعة في السعودية، فهل كان يستغلها لاقناع العلماء بدفع الشباب نحو الجهاد، ومن ثم تسهيل تجنيدهم لتنظيم (لقاعدة)؟

■ الشيخ أسامة بن لادن قام ـ بحكم تأثره بالشيخ عبد الله عزام ـ بحوار المشايخ والعلماء لتوحيد الناس حول فكرة أن الجهاد هو الحل؛ حل أقل ما فيه رفع الملامة عن الأمة حتى ندحر العدو نحو الخارج، ومن ثم نرتب صفوفنا في الداخل، أما أننا نرتب صفوفنا من الداخل ووضعنا من الخارج غير مرتب في ظل الهجمات الكثيرة عليه فهذا وضع غير طبيعي، وغير مقدور على تسويته. فكان الشيخ أسامة بن لادن في هذه المرحلة كثيرا ما يحاور الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ بن عثيمين وخصوصا أثناء حرب الخليج، حيث دخل معهم في حوارات مكثفة حول هذا الموضوع، وكان يركز معهم كثيرا حول هذه الجزئية من حيث دفع الشباب باتجاه الجهاد واحياء روح الجهاد فيهم، ولكن بلورة ذلك الهدف بالطريقة المنظمة الحالية فكما يقال جاءت من غير قصد، بأن يقوم الشباب بهذا العمل المنظم الدقيق وتوحيد الصفوف نحو الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ما كان من البداية ولكن كان الغرض دفع الشباب باتجاه الجهاد، من منطلق قوله الله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»، فكان الشيخ أسامة يقول اذا أقنعنا الشباب ودفعنا بهم في هذا الاتجاه فسينتج منهم رجال، لأن الأحداث لا بد أن تربي رجالا، وستخرج أجيال من الشباب جديدة؛ ويلاحظ الآن أن جميع من نفذوا العمليات ضد الولايات المتحدة ليسوا ممن شاركوا بالجهاد في البوسنة والذين شاركوا بالجهاد في البوسنة ليسوا ممن شاركوا بالجهاد في أفغانستان الأولى ولكنهم من الشباب الجدد، فالأحداث تولّد أحداثا بعدها والجيل يأتي بأجيال بعده؛ ولو تخاذل أحدهم سيأتي الله بغيرهم، كما يقول الله تعالى «وان تتولوا يأتي الله بقوم غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم».

■ أسامة بن لادن من أسرة تجارية كبيرة جدا في السعودية، وهذا ما خلق له مكانة كبيرة بين التجار ومشايخ العلم ومع المسؤولين، فهل لمست أنه وظّف علاقته مع هذه الشرائح في تسهيل عملية نشر الفكر الجهادي في السعودية والدفع بالشباب نحو الجهاد في أفغانستان وغيرها؟

■ بالنسبة لقضية فكرة الجهاد نفسها في السعودية لم يكن هناك عمل منظم بذاته، بحكم أن الدعوة في البلاد كلها والناس كلها تدعو للجهاد، حتى أنه كانت تعقب كل خطبة جمعة تبرعات للجهاد، ليس بقصد دعم أسامة بن لادن أو بتنسيق معه، ولكن كانت الجمعيات الخيرية كلها تخدم الاسلام بشكل عام. أذكر أنه كان بعض الشباب يذهب الى الهيئات الاغاثية لاعطائها تبرعات للجهاد، في ظل المناخ الهادئ الذي كان موفراً للجهاد والمجاهدين في ذلك الوقت وعدم وجود التهم بالارهاب التي طرأت مؤخرا ضدهم؛ أما الآن وبالذات بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) طرأ الكثير من المواقف الحساسة، فبعض المشايخ تراجعوا عن أفكارهم السابقة، وقالوا انهم كانوا (غلطاني)ن، وبعضهم استمروا وقاوموا، فأحداث 11 أيلول (سبتمبر) كانت بمثابة (المنخُل)، التي صفّت الصفوف من الضعفاء والمهزومين، وعلى الرغم من ذلك لم تتمكن من خلخلة الصفوف أو تفكيكها. فكانت عمليات جمع التبرعات للجهاد من قبيل العمل الخيري المطلق لوجه الله ولم تكن هناك أهداف بعيدة لذلك، أو عمل منظم وراء ذلك، ولم يكن أحد يفكر بالعمل المنظم.

بن لادن وتركي الفيصل

■ يذكر أن الحكومة السعودية قامت بالعديد من محاولات الوساطة مع أسامة بن لادن لاقناعه بالعدول والتوقف عن الجهاد، ماذا تعرفون عن ذلك؟ وما هي الوفود التي وصلت اليه لهذه المهمة؟

■ بالنسبة للحكومة السعودية واصلت حواراتها وأرسلت الكثير من الوفود الى أسامة بن لادن ومحاولة اقناعه للتراجع عن توجهاته الجهادية، وهذا الأمر كان بسبب العلاقة القوية بين أسرة بن لادن وأسرة آل سعود المالكة، وكانت هذه الوفود متعددة الأشكال والوسائل، فمرة عن طريق ارسال اخوانه اليه ومرات أخرى عن طريق ارسال والدته اليه، سواء الى السودان عندما كان فيها أو الى قندهار عندما انتقل الى أفغانستان، ففي احدى المرات أرسلت السعودية اليه أمه وأخاه غير الشقيق (من أمه) بطائرة سعودية خاصة الى مطار قندهار، وعندما وصلا اليه حاولا اقناعه بذلك، فقام الشيخ أسامة ولسان حاله يقول: ان هذا مبدأ، حملته بين أضلعي وعاهدت الله عليه، ووالله ـ على غرار أحد الصحابة ـ لو أن لك ألف نفس وخرجت نفسا نفسا ما حدتُ عن هذا الطريق، ومع ذلك كان بارا بوالدتَه بطريقة حديثه وبأسلوب تعامله معها الذي كان أكثر اقناعا، فعادت كما جاءت، ثم حاولوا عن طريق العلماء وبعثوا اليه الكثير منهم، ومنهم وزير الأوقاف السعودي الشيخ عبد الله التركي، الذي أرسلوه اليه أكثر من مرة، وأذكر أنه من ضمن هذه المحاولات حضر الى مطار قندهار الأفغاني وفد سعودي رسمي برئاسة رئيس المخابرات السعودية السابق الأمير تركي الفيصل (سفير السعودية الحالي بلندن)، بطائرة سعودية عملاقة، بقصد العودة الى السعودية بأسامة بن لادن وبجميع عناصر القاعدة المقيمين في قندهار حينذاك، الا أن الوفد عاد بدونهم، وكان الشيخ أسامة موفّقا في كل هذه المحاولات ولم يتراجع قيد أنملة عما رسمه لنفسه ولتنظيمه.

■ ما هي طبيعة العلاقة بين أسامة بن لادن والأمير تركي الفيصل، الى درجة أن يقطع الأخير كل هذه المسافات لاقناع الأول بمهمة العدول عن الجهاد؟

■ الحقيقة لا أعرف عن هذه العلاقة الشيء الكثير، ولكن بحكم وضع بن لادن وكذا وضع الفيصل، لا أتوقع أن تكون بينهما علاقة جيدة، بالعكس قد تكون العلاقة مضادة.

■ البعض يشيرون الى أن ملف تنظيم (القاعدة) كان بيد الأمير تركي الفيصل، حين كان على رأس المخابرات السعودية، ولذا ربما كان له امتداد أو علاقة مع بن لادن، بطبيعة وظيفته، لمحاولة توجيهه أو احتوائه فيما بعد؟

■ كما ذكرت، ليس لي علم بالشيء الكثير عن قضية علاقة أسامة بن لادن بالأمير تركي الفيصل، وما أعرفه وما أتوقعه من نفسية رجال الاستخبارات أنه لا وجود لتلك العلاقة الجيدة بينهما، ولكن قد تكون العلاقة محصورة في اطار المحاولات للاقناع والمحاولات للوساطة، والذي أعرفه أن المخابرات السعودية أرسلت أكثر من مرة عملاء لاغتيال الشيخ أسامة وفشلت في ذلك، وقد شاركت في القبض على أحد الذين قاموا بمثل هذه المحالات لاغتيال بن لادن في أفغانستان، حيث أرسلت المخابرات السعودية شابا من أصل أوزبكي يعيش في السعودية الى مقر أسامة بن لادن في قندهار، ووعدته بمنحه الجنسية السعودية وبمبلغ مليوني ريال سعودي ووعود بأشياء أخرى، اذا نجح في مهمة قتل بن لادن، فلما اعتقلناه سألناه: هل كنت تتوقع اذا قتلت الشيخ أسامة بن لادن أن تفلت من بين 14 حارسا مسلحا بالأسلحة الرشاشة وفي مستوى عال من التدريب وتنجو من ذلك؟ فكان ينظر للموقف باندهاش وبدا وكأنه فاق من حالة غيبوبة غير متوقعة، كأنه طفل، وقد كان شابا صغيرا في الثامنة عشرة من العمر خُدع بهذا العرض، وقد كان يبكي بشكل مخجل جداً ويقول أنا غلطان، حتى في النهاية قال الشيخ أسامة: أطلقوا سراحه.

■ متى كانت هذه الحادثة؟

■ تقريبا في نفس فترة أحداث الهجوم الأمريكي على معسكرات (القاعدة) في العام 1998، التي أعقبت تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام.

محاولات اغتيال الشيخ

■ في هذا الاطار كم تعرض أسامة بن لادن لمحاولات اغتيال؟

■ بالنسبة للمحاولات التي عاصرتها فقد كانت محاولتي اغتيال، أما بالنسبة لعمليات التجسس فأذكر أني عاصرت حادثة واحدة، وقبل التحاقي بالشيخ أسامة وقعت للشيخ محاولة اغتيال واحدة في السودان، وقد ذكرت تفاصيلها في موقع آخر من هذه الأحاديث، وبعد خروجي من أفغانستان تعرض الشيخ لمحاولتي اغتيال كذلك. وتفاصيل أحدها وفقا لما رواه لي الأخوة العائدون من هناك، أن مجمع مطار قندهار، الذي كان يقطنه الشيخ أسامة وأسرته وعائلات المتزوجين من أتباعه، تعرض لمحاولة ضرب بالكامل بقنابل مصنعة من النفايات النووية، بحيث توضع القنابل في الأركان الأربعة للمجمع، فينسف المجمع بمن فيه ويحقق القتل الجماعي لكل المقيمين فيه بمن فيهم الشيخ أسامة وأتباعه وأسرهم من الأطفال والنساء؛ ولكن الله سلّم فكشف هذا المخطط وكشف المتآمرين.

■ هل كانت هذه المحاولات على أيدي أفغان أم عرب أم غيرهم؟

■ طبعا التخطيط والتنسيق لهذه المحاولات كانا من خارج أفغانستان، ولكن عمليات التنفيذ داخل الأراضي الأفغانية كانت بأياد عربية، ولكن كانت تحت اشراف وادارة أمريكية واضحة، وجهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) كان أيضا له دور في ذلك، حيث أرسل أحد الجواسيس العرب عن طريق أحد أجهزة المخابرات العربية، لعملية التجسس على الشيخ أسامة وجمع المعلومات عنه: هل لديه معامل كيماوية وهل توجد لديه أسلحة بيولوجية، واعتمدوا في ذلك على العرب، لصعوبة وجود ودخول شخص غير عربي بيننا في أفغانستان. لأن الشخص غير العربي لا يمكنه الاختلاط والاحتكاك الكامل بالشباب العرب، بسبب حاجز اللغة ولعدم امكانية اندماجه معهم، ولذلك لن يستطيع الحصول على المعلومة منهم، فاعتمد الموساد في هذه المهمة على جواسيس عرب.

■ من هي الدول العربية التي كانت وراء عمليات الاغتيال لأسامة بن لادن؟

■ أذكر أن بعض هذه المحاولات كان وراءها جهاز المخابرات السعودي، بواسطة شاب أوزبكي مقيم في السعودية بعد عملية الهجوم الأمريكي على معسكرات (القاعدة) في خوست والتي ذكرت تفاصيلها قبل قليل، والمحاولات الأخرى كانت على يد جهاز المخابرات الأردني، وأذكر أن بعض المنفذين لهذه المحاولات اعترفوا بأنهم أُرسلوا من قبل جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) عن طريق المخابرات الأردنية.

■ كيف كان تنظيم (القاعدة) يكشف الجواسيس الذين يندسون بين صفوفه؟

■ كان يكشف الجواسيس بالحس الأمني العالي لعناصر (القاعدة)، بالاضافة الى أن العناصر والجواسيس التي كانت ترسلها الأجهزة الاستخباراتية الى أفغانستان غير مؤهلة ولا مدربة بشكل جيد على فن عملية التجسس وفن جمع المعلومات، فكانت تلك العناصر تسقط من أول محاولة، وتفضح نفسها بأساليبها الحمقاء، وكانوا يعترفون بكل شيء لمجرد القبض عليهم بالاشتباه بعملياتهم التجسسية. وكان جميع هؤلاء الجواسيس يسقطون من الوهلة الأولى لوصولهم الى مواقع (القاعدة)، باستثناء شخص واحد وهو عراقي، استمر حوالي ثلاث سنوات بين الشباب يعمل لحساب المخابرات الأمريكية، في مواقع التنظيم التي كانت بعضها لا تضم بالضرورة عناصر (القاعدة) فقط، وتم اكتشافه بعد ارسال الأمريكان لجاسوس آخر لمساعدته، وهو سوري، ففضح هذا الأخير زميله العراقي بأسلوبه غير الاحترافي.

■ كيف كانت تركيبة الجهاز الأمني لتنظيم (القاعدة) ومن كان المسؤول عنه؟

■ كان الجهاز الأمني كله في التنظيم ينصب في شخص واحد وهو الأخ سيف العدل المصري، وكان هو مسؤول الجهاز الأمني في التنظيم، ومن خلال خبرته الطويلة واحتكاكاته الكثيرة وذكائه الخارق كان يدير هذا الجهاز بأساليبه العديدة المميزة، ولكن مع نهاية التسعينات ومع تكرار المحاولات التجسسية على التنظيم وتكرار محاولات اغتيال الشيخ أسامة بدأ التنظيم بتدريب كوادر جديدة داخل أفغانستان وتوسيع دائرة النشاط الأمني للتنظيم ليصبح جهازا منظما بكوادر كثيرة يؤدي دورا ووظيفة أمنية في كافة المعسكرات والجبهات والمرافق التابعة لتنظيم (القاعدة) وكذا خارجها، وأصبح أشبه بجهاز مخابراتي، حتى أنه كان اذا تحرك أي شخص من أي بلد في العالم صوب أفغانستان وتحديدا باتجاه تنظيم (القاعدة) كان هذا الجهاز يملك معلومات مسبقة عنه، وكان يرفع تقارير وافية عنه الى الشيخ أسامة وهو الذي يتخذ القرار بشأنه.

■ هل كان التأهيل الأمني لكوادر تنظيم (القاعدة) عند مستوى عال؟

■ نعم كانوا عند مستوى تأهيل عال جدا، وتدريب وتأهيل قوي جدا بحيث أنهم كانوا يستطيعون ان يميزوا بين العناصر الاستخباراتية والعناصر المجندة للأجهزة المخابراتية، وكانوا يمتلكون قدرات في عمليات التحقيق مع المشتبه بهم بأساليب عصرية، وليست بدائية.

■ على ضوء هذا الحس الأمني الرفيع لتنظيم (القاعدة)، هل تعتقد أن تتمكن أمريكا من اعتقال أسامة بن لادن ومساعده أيمن الظواهري؟

■ كل شيء متوقع وكل شيء محتمل، لكن بن لادن دخل الآن في سياق مرحلة لم يعد الموضوع فيه موضوع استخباراتي، بقدر ما أصبح كشف موقع، لضربه أو لاقتحامه؛ ومع ذلك مازال الشيخ أسامة ومن معه الشغل الشاغل لأمريكا، سواء في أفغانستان أو في العراق أو في غيرهما. ولو حصل الآن أي شيء لأسامة بن لادن فان ذلك لن يؤثر على تنظيم (القاعدة)، لأنه قد تشظّى حول العالم، وكل شظية فيه تمثل أسامة بن لادن، وكل واحد من عناصر التنظيم يعتبر قضايا الأمة قضيته الشخصية، وأصبح بن لادن بالنسبة لهم مجرد (رمز) فقط.

■ كيف كان تنظيم (القاعدة) يمول عملياته العسكرية داخل وخارج أفغانستان؟

■ بالنسبة لموضوع الأموال والتمويل، وحركتهما ليس لي علم بذلك، لكن الملاحظ أن جميع هذه العمليات كانت تمول تمويلا ذاتيا من أموال الشيخ أسامة، ولم تكن هناك أية تبرعات خارجية لها، وكان الشيخ يصر دائما على أن تكون جميع نشاطات (القاعدة) من أمواله الشخصية، وكان يقول: «هذه تخصني ولا أريد أحدا يشاركني في هذا الأجر».

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء